لا تخالجه اللهفة إلا قليلا ، وهي بعد شوق إلى المتاع الطليق ، أكثر منها حرقة إلى إرواء الضرورة المقيدة ، أو هي طلاقة فيها سخرية المجرب الذي سلك الطريق مرة ومرة ، فانجلت في نفسه الروعة وانكشف المجهول ، ولم يعد أمامه إلا تأمل المشاهد وتسجيل الشواهد ، والموازنة بين ما مضى وما هو آت في رحلته الحاضرة . والذي علم قيمة العرف والتقاليد ومبلغ إخلاص الناس لها أو تفلتهم منها ، فلم يعد يحسب لمن في « الخارج » حسابا ، وإنما همه أن يعيش في عالم من صنعه هو ، يضع تقاليده وحدوده

ولهذا يلوح الشاعر في الأجزاء الأخيرة منطلقا من القيود في الاحساس والتعبير انطلاقا لا تجده في شعر شبابه ، وهذا أثر التجربة وحكم السن والممارسة .

ومع العقاد وجهان أصيلان في هذه الدواوين الثلاثة ، وعدة وجوه عارضة :

فأحد الوجهين هو الذي يقول فيه قصيدة « غزل فلسفي » والذي فيه « من كل شيء » في الأرض والسماء ، وفي الماضي والمستقبل و « من كل موجود وموعود توأم » ... الخ

ولعل هذه القصيدة أدل القصائد على هذا الوجه الذي يُشع في نفس الشاعر كل معاني الوجود ، لأن الشاعر — حينئذ — مستعد لتلقي كل أطياف الوجود ، متفتح لكل معنى من معانيه

والوجه الثاني هو الذي يقول فيه :

بعد سبع من السنين وعشر ... عرف الناس فضل ذا الميلاد
عرفوا أي نعمة زارت الأر ... ض بأضعاف حسنها المرتاد
عرفوه لما رأوا بينهم شمـ ... ـسا مع الشمس أشرقت في البلاد
عجبوا كيف فاتهم يوم وافى ... فرعوا عهده بذكر معاد
ذاك ميلادك السعيد هنيئاً ... للذي فاز فيه بالاسعاد

ويقول فيه معظم غزليات « هدية الكروان »

والخطوط التي تفرق بين هذين الوجهين صعبة التمييز لولا أن الثاني أكثر بشاشة وطراءة ، والأول أشد حيوية وتأثيراً

وعلى العموم فالشاعر يبدو في هذه الفترة واثقاً من نفسه وزمنه ، يترشف كأس الحب في نشوة ولذة وتأمل وتمهل ، وفي بشاشة ودعابة واطمئنان

ولولا أن المقال قد تضخم وطال لأكثرت من الأمثال ، فهذه هي فسحة النفس التي عنينا ، والتي امتاز بها العقاد كل الامتياز

« حلوان » صيد نظمي

الى وزارة المعارف

كلمة حق في كتب

على أثر ما نشرناه في العدد الماضي من جواب الأستاذ أحمد أمين وتعليقنا عليه جاءتنا طائفة من المقالات والرسائل في هذا الموضوع لم نر من المفيد أن نشغل بها صفحات الرسالة فاقتصرنا منها على هذه الكلمة شاكرين لكاتبها الأفاضل غيرتهم على الأدب ودفاعهم عن الحق (المحرر)

كنا في مجلس ضم لفيفاً من الطلبة ورجال التعليم ، والكل في مقتبل العمر وعنفوان الشباب ، فمنهم من اجتاز مرحلة ثانوية في دراسته ، ومنهم من اجتاز مراحل في تعليمه الجامعي. والحديث ذو شجون ، «والرسالة» حظها من الحديث ، ولما ينشر فيها نصيبه من التعليق والمناقشة ؛ وما يكاد الجمع يندفع حتى ترى القوم يتواعدون في أن للحديث صلة ، وإلى اللقاء في أعداد الرسالة المقبلة

جئت بهذه الكلمة لأقول إن السبب « الذي من أجله صرف النظر عن تقرير بعض الكتب للمطالعة في مدارس المعارف المصرية » كان محل نقاش طويل في هذه الساعة القصيرة

ونحن نميذ أنفسنا من الغرور يذهب بنا إلى الحطّ من كفاية اللجنة التي عهد إليها اختيار كتب المطالعة . لكننا لم نر بأساً في أن نبث برأي لفيف من الطلبة والأساتذة لا نعتقد أنهم ارتأوه أو اعتقدوه تزلفاً الزيات. فالصلة التي تصلهم بالأستاذ الزيات هي عين الصلة التي تصلهم بالأستاذ أحمد أمين ، وهي صلة الأدب والذوق المشترك ، هذه الصلة التي تدفع كل واحد إلى إبداء رأي هو صدى صادق للكيفية التي أدرك بها الانتاج الأدبي لأي كاتب أو شاعر أو صاحب فنّ

ومن الطبيعي أن نتحسس ذلك الضعف الأخلاقي لو كان في كتابين طالما قُدّر لهما من سعة الانتشار ما لم يقدر لغيرهما من الكتب . لقد كان الأستاذ الزيات أميناً في نقل هذين الكتابين إلى اللغة العربية ، أتراه حور من مضمونهما بحيث ترى الفضيلة في (رفائيل) جريمة ، والعاطفة في (آلام ڤرتر) ضعفاً أخلاقياً ؟

لست أدفع عن المترجم تهمة هو أبعد الناس عنها فقد كان

أميناً فى ترجمته ، ولكننى أدفعها عن مؤلفى هذين الكتابين وهما على ما يعلم الناس من أعلام فلاسفة الغرب وفحول شعرائهم . ونحن لا نرى حاجة إلى أن نلجأ للعبارة نسوغها دفاعاً عنهما فالكتابان بين أيدينا ووقائعهما فى ذاكرة الكثيرين منا ، ولم تستطع أن تلمح الأثر الذى من أجله صرف النظر عن هذه الكتب

كنا وكان غيرنا فى سنّ الصبا يوم صدر (رفائيل) ، وأذكر جيداً أن هذا الكتاب ما كان يبقى فى يد القارئ أكثر من يومين اثنين لقلة النسخ وكثرة الطلاب المتلهفين على قراءته .

ولو لم يكن رفائيل كتابا فيه عاطفة نبيلة وشعور حى لكفى أن يكون فى لغتنا قطعة فنية . وأشهد أن لأسلوب الترجمة الفنية التى ظهر بها هذا الكتاب هذا أكبر الفضل فى تحسين أسلوبنا الانشائى يوم كنا نجيل البصر فى الكتب على الرفوف فلا نرى غير ركام من ألفاظ وعبارات يمجها الذوق ولا يلازمها الحسن أو شبهه .

وإلى القارىء آلام فرتر ! فهل كان « جوت » الفيلسوف مخادعاً يوم قدّم كتابه إلى العالم وقال فى مقدمته « إنك لن تستطيع وأنت تقرأه أن تحبس نفسك عن الاعجاب بفكره وقوة حسّه ، ولا قلبك عن الولوع بخلقه وشرف نفسه ، ولا عينك عن البكاء لمثار جده وبؤسه ! »

اللهم إنا لم نجد فى الكتاب غير ما قدم المؤلف به كتابه ، ففيه الشرف الصميم وفيه الخلق الكريم وفيه الاخلاص والأيثار والصبر والجلد .

وما أرى أن الدكتور طه حسين كان مدفوعاً للثناء يوم قال فى مقدمة الكتاب « لقد وفق صديقنا الزيات حين نقل إلى اللغة العربية آلام فرتر للشاعر الفيلسوف « جوت » . ووفق إلى حسن الاختيار فما كان لشعب يُجل نفسه ويريد أن يعد بين الأمم الحية أن يجهل شاعراً فيلسوفاً كجوت قد أثر نبوغه الفنى والفلسفى فى الحياة العلمية والنفسية للعالم الحديث أشد تأثير . وما كان لهذا الشعب أن يجهل كتاباً كآلام فرتر قد عرفه الناس جميعاً فى أوربا فأحبوه وكلفوا به ، حتى أنك لا ترى فتى ولا فتاة فى السادسة عشرة من العمر إلا قرأه وقرأه وحاول أن يتفهم معانيه ويتأسى بما فيه » .

لا نظن الدكتور طه حسين منع هذا الكتاب عن أولاده أو نصح لهم بالحيطة فى قراءته ولا نشك فى أن رجال المعارف بلا استثناء يزينون مكتباتهم بهذا الكتاب العبقرى الخالد ويسرهم أن يروه فى أيديهم بنيهم وبناتهم

بقيت مسألة هى مدار البحث ويجب ألا تعتبر كلمتى فيها فضولاً . فان لمصر مكانتها فى العالم العربى ، ولثقافتها المكان المرموق فى نظر طلاب العلم والأدب . فالكتاب الذى يرى أئمة الأدب فى مصر أنه صالح للتداول يصبح هذا الرأى كورقة النقد تصرف فى أى مكان . فهل من الحق أن كتاب «رفائيل» وكتاب « آلام فرتر » لما أثرهما فى الأخلاق من « ناحية عكسية ؟ » . الطالب يجيبك : لا ، والأستاذ لا يمنع أن يكون هذان الكتابان فى صدر مكتبه وبين أهله وأولاده

أذكر أن « فرانس بيكون » قال فى الكتب : « إن من الكتب مايذاق ، ومنها مايبلع ويزدرد ، ومنها مايمضغ ويهضم ويتمثل » فكم فى مكاتبنا من تلك الكتب التى تذاق وتبلع وتمضغ على درجاتها ؟ اللهم إنى إذا أجهدت نفسى وبحثت مع غيرى عن الكتب التى تضمنتها مكاتب الكثيرين من طلاب المعاهد فى العالم العربى لم أعد إلا وفى قلبى طعنة الأسى والأسف لهذه المختارات والمنتخبات يعودون إليها بين الحين والحين

إذا كان رفائيل وفرتر مفسدين للأخلاق فماذا يقال فى آلاف الكتب البوليسية والروايات الخليعة والمجلات الساقطة التى تفص بها مئات المكاتب فى القاهرة والقدس وبيروت ودمشق وبغداد ؟ إذا كان فى هذه الكتب انتحار فلماذا لا تمنع الصحف عن أعين الطلاب وفيها عشرات الحوادث من هذا النوع فى كل يوم ؟

لو لم تقرر اللجان كتاباً من الكتب واكتفت وذلك بأن تفرض رقابة على وسائل الانتاج الثقافية لكان ذلك خيراً . أما أن تترك الأدب الرخو الخليع المكشوف يطغى على أكبر جزء من تفكير الشباب ثم تمنع أو لا تجيز تقرير كتابين هما درة الكتب لأعلام الكتاب فهذا ما تؤاخذ عليه

« فلسطين » على كمال